عيون ملؤها الرماد

ضحكاتٌ مرحة، رياح لا تنذر بخير، فرقعة تتبعها نار عظيمة، أحرقت الزهور؛ فاستحالت رمادًا في الحال، خرج منها عربة حربية ذهبية، بريقها يعمي الأبصار تجري بخيول غير مرئية مسرعة، تسابق الرياح، صوت صرخات، رماد مبعثر حجب الرؤية، صرخة مدوية شقّت حلق ديمتر «حادس خطف بيرسيفوني»

.....

لم تخطئ عندما اتشحت بأوراق الزهور، مغرّدة بأروع الألحان، تنادي الربيع، تتساقط دموعها الغالية على الورود المنزوية، فتحييها.. تغني وتضحك ضحكات بريئة صافية، فتتحول إلى

فراشات زاهية الألوان.

لم تخطئ حينما رقصت رقصة الربيع الصاخبة المليئة بجنون وشغف الحياة، فهي لم تكن تعلم أنها ترقص رقصة الوداع.

أحبّ حادس بيرسيفوني على طريقته، أحبّها طمعًا، فيما تملكه من جمال حرم منه، وحقد عليها وعلى مرحها وعلى محبة الناس لها، فكان هذا الحقد وقود نار رغبته

في تملكها وهزيمة البراءة فيها، لم يكن يعلم أن الحرية هي روحها؛ التي عشقها وحسدها عليها، كبّلها وخطف آخر لحظات البراءة منها ومضى...

خسر حادس نفسه وحقيقته؛ عندما انقلب السّحر على الساحر، وتدلّه في حب بيرسيفوني فعلاً، ولم يعد يستطعْ الاحتفاظ بهيبته كرمز للقسوة والبطش، فالقسوة والبطش والحبّ لا يجتمعون في قلب واحد، لاسيّما لو كان قلب حادس الأسود.

خسر حادس بيرسيفوني، التي أحبها، أصبحت هيكلًا خاويًا متآكلًا، تصفر فيه الأحزان، ماتت ضحكاتها البريئة، وصارت دموعها سمًّا يقتل الأزهار، هجرت الغناء للصمت القاتل، هاجرت إلى عالم الأوهام المقبض.

عاقر حادس الخمر وباشر ملذاته غارقًا فيها مع «الكاريتات، ربات الحسن» لعلهن ينسينه بيرسيفوني، مقتولًا بين عذاباته وهيبته الضائعة في الأوليمب ومشكلاته مع زيوس وديمتر أم بيرسيفوني.

.....

الأوهام تتشكل في رأس بيرسيفوني عناكب تغزل خيوطها وحيات تتلوي، تفح بداخلها قائلة: «براءتك وضعفك هما السبب في طمع حادس فيك، وسرقته لك، ألوانك الزاهية

كانت نورًا يزيّن عالمه المظلم، لو أنك بالقوّة والمكر الكافيين ما فكّر في خطفك وحرمان روحك من مكانها الحقيقي ومن أمّك الحبيبة ديميتر، قرري الآن.. وليس بعدُ.. فلم يعد هناك وقت يكفي ما مضي»

في هذه الليلة عاد حادس إلى الجحيم ثملاً مترنّحا يشتهي نومًا، لا يجيء حرم من لذته بسماع صراخ المعذبين على يديه، لم تعدْ أصواتهم تطربه، لم يعد لحبّه وطمعه وحقده معنى، بيرسيفوني أصبحت جزءًا من عالمه الأسود لا تختلف عنه في شيء، انطفأ بريقها وأصبحت بالية الروح، ألقى بجسده على سريره الوثير يهذي.

في هذه الليلة سمعت صرخاتٍ، هزت عروش الأوليمب نابعة من أعماق الجحيم، جعلت زيوس يتساءل، ويرسله هيرميس لاستطلاع الخبر.

قابله حادس، وهو مستعيد لقوته وهيبته، بل إن ملامح أكثر قسوة ارتسمت على وجهه، ولّما سأله هيرميس قال له: «لقد فقدت هيبتي، وضعفت ضعفًا لا يليق بي، فاتخذت قرارًا، وقتلت بيرسيفوني موطن ضعفي وزلتي الوحيدة، وألقيتها في الأسيد المذيب، وأرغمت المؤرّخين على كتابة تاريخ جديد يقول بعودة بيرسيفونيه لديمتر، على أن تعود لملكة الموتى مرة أخرى بالتناوب، وأرغمت ديمتر على الصمت، وإلّا

أذقتهـا أشـد العـذاب وأفظـع طـرق التعذيـب، فرضخـت لـي، ووعدتـني بأنهـا سـتعيد الـزروع والـورود في الفـترة؛ الـتي مـن المفـترض فيهـا عـودة بيرسـيفوني»

نظـر هيرميـس لوجـه حـادس يستشـعر غرابـة في لهجتـه، ولكنّـه كان يعلـم جنـون حـادس وتقلّباتـه، فلـم يعـر الأمـر أهمـي،ة وعـاد مسـرعًا ليبلـغ زيـوس.

جلـس حـادس علـى عرشـه، وهـو يتنـاول بعـض حبّـات الرّمـان مـن جيبـه، وينظـر إليهـا في كفـه، ويبتسـم.

بعـد قليـل دخـل الميناتـور، يبلّـغ حـادس برغبـة السـاحرات الثـلاث ذوات العـين الواحـدة في مقابلتـه، وهـن يقلـن للحـراس، أنّهـن راغبـات

في قبض ثمن أمر ما من حادس العظيم.